

## الصراع بين الخير والشر في رواية الجريمة والعقاب لدوستويفسكي

### مريم بوسيف وليلى رحمانى

يحوي الأدب الروسي على عدد من الإنتاجات الأدبية التي تعتبر من أعظم الأعمال الأدبية العالمية، خاصة في مجال الرواية التي كانت تعبر عن روح العصر في تلك الفترة.

"هذه حقيقة قد أجمع عليها نقاد العالم كله، كما أجمعوا على تسمية القرن التاسع عشر بالعصر الذهبي للأدب الروسي وقد بدأ هذا العصر بالكاتب بوشكين وغوغول في أوائل القرن الماضي، وانتهى سنة ١٨٨١ لما مات دوستويفسكي"<sup>١</sup>

من هنا كان الاقبال على هذا الأدب، إذ يحظى الكاتب الروسي بمكانة مرموقة بين صفوة الكتاب العالميين الذين تميزوا بقدرتهم على الغوص في أعماق النفس البشرية، والتعبير عما يختلج بداخلها من عواطف ومشاعر ومن هؤلاء الروائي الشهير دوستويفسكي الذي يعد من أعظم كتاب الرواية في القرن التاسع عشر بروسيا، سالت من أقلامه موضوعات كانت شديدة الصلة بالنفس البشرية مصورا ذلك بأسلوب فني فلسفي فهو يعتبر مبتكر صنف جديد وفريد "يخيل إلينا نظرا لسعة نشاط دوستويفسكي الابداعي ولكل التطلعات المتنوعة لروحه، نظرا لكل ذلك يتحتم علينا أن نعتزف أن القيمة الأساسية لدوستويفسكي لا تكمن في الفلسفة، أو السيكولوجية أو التصوف بقدر ما نجدها في خلق صفحة جديدة وعبقرية حقا في تاريخ الرواية الأوروبية"<sup>٢</sup>، فقد وجدناه يدعو في جميع كتاباته إلى المثل العليا، ويطلب إدانة الشر والإشادة بالخير"<sup>٣</sup> ينبغي أن نعتزف بأن أحدا لم يناضل مبدأ الشر، ولم يحارب الظلمات بمثل القوة التي حارب بها دوستويفسكي"<sup>٤</sup> لذلك ركز على النفس الإنسانية التي هي في صراع بين الشعور واللاشعور بين العاطفة والعقل، بين الحب والتواجب، بين الخير والشر وغيرها من المتناقضات التي تجعل الإنسان يفقد توازنه وبالتالي يكون عرضة لأمراض نفسية خطيرة.

وسط أزقة مدينة بطرسبرج مصورا الفقر والبؤس فيها مركزا اهتمامه على العالم الروحي والأخلاقي للطبقة الكادحة، من خلال شخصيات "تجنح نحو التصويرية تبقى محتفظة بطابعها الإنساني، ولا تحوم في الرمزية"<sup>٦</sup> متميزة غريبة دائما في صراع بين الخير والشر.

إذن ماهي تجليات الصراع بين الخير والشر في رواية الجريمة والعقاب؟ يعيش الإنسان في صراع مع أهوائه ورغباته وينكشف ضعفه من خلال عدم قدرته على إشباعها"<sup>٧</sup> لأنه محدود بقدرات وفرض توفرها حالة الظروف الخارجية"<sup>٧</sup>

فبرزت الجرائم وكثر الفقر والبؤس مما دفع الكاتب إلى تصوير كل ظروف الواقع؛ وقد أخذت منه هذه الرواية الوقت الكثير حيث قال: "الرواية طويلة تظم ستة أقسام في نهاية تشرين الثاني، كنت قد أنهيت قسما كبيرا منها لكنني عدت فأحرقت كل شيء، أعتزف الآن ما كتبه لم يكن يروقتي، كان هناك إطار جديد ومخبط جديد يراودان مخيلتي فأعدت الكرة أنا الآن أعمل ليلا نهارا، ومع ذلك أقدم ببطء"<sup>٥</sup> إلا أنه قدم عملا رائعا ولعل السر في ذلك يرجع إلى تصويره للحياة كما هي فعرض ذلك في صورة فنية رائعة

والجريمة والعقاب من أقوى رواياته التي أصدرها عام ١٨٦٦ التي تتطرق لمشكلة حيوية ألا وهي الجريمة وعلاقتها بالمشاكل الاجتماعية والأخلاقية، وهي المشكلة التي اجتذبت اهتمام دوستويفسكي في الفترة التي قضاها في السجن حيث لازم المسجونين وتعرف على ظروفهم، ولا تظهر الجريمة والعقاب كرواية من روايات المغامرات أو الروايات البوليسية، بل هي في الواقع نموذج لكل تأملات الكاتب في واقع الستينيات من القرن التاسع عشر بروسيا، وهي الفترة التي تطور فيها نظام الرأسمالية، مما أدى إلى تغيير كل شيء

شخص ما متطلبات داخلية متعارضة، وقد يكون صراعا بين مطلب أخلاقي وأبين شعورين متناقضين، أو كما نرى في الصراع يمكن أن يظهر بشكل ملتصق في تكوين الصريح، ويتجلى خصوصا في تكوين الأعراض واضطرابات السلوك<sup>١٥</sup>. وهذا النوع من الصراع متعلق بالفرد ذاته ولا يتعداه إلى غيره، ومنه يتولد الصراع بين الخير والشريك فيكون ذلك؟

يقسم راسكولنيكوف في مقالة كتبها الناس إلى فئتين: فئة تخضع للقانون، وفئة لها الحق في خرقه، وأن الذكاء والعقل هما الأساس في تفوق الإنسان، انطلاقا من هذه الأفكار الفلسفية يقرر ارتكاب جريمة قتل يرى فيها بأن قتله لعجوز شريرة هو قتل للشر، هو خلاص للبشرية من شرها، يستطيع بها تجاوز وضعه البائس ومساعدة أمه وأخته، والفتاة صونيا التي تضطر إلى بيع جسدها من أجل إعالة أسرتهما، وبالتالي لو كانت تعتبر هذه الجريمة سيئة واحدة فسوف يكسب منها عشرات الحسنات: "جريمة ذات هدف عادل نبيل، فعلة شر واحدة في مقابل مائة فعل من أفعال الخير، فعلة شر واحدة ووحيدة، وبعدها مئة فعل من أفعال الخير"<sup>١٦</sup>.

القتل من أجل الخير وإسعاد الناس، تصفية للشر الاجتماعي، وبقائها يحاول أن يرفع الظلم الاجتماعي بالاستحواذ على ثروتها وتوزيعها على الفقراء، وبالتالي سيلقى فعل الشر.

ولكن هل يحق أن نضحى بنفس إنسان من أجل سعادة الآخرين؟ وهل هذا يتنافى مع الأخلاق؟

هذا ما أكد عليه "كانط" حيث يرى أن الإنسان بإرادته الحرة وكيونته العقلية

حقا؟ إنما هونزة خيال لأكثر<sup>١١</sup> أفرز الأنا رغبات الهو وحسبها عن البطل فأصبح ينظر إلى فكرته بأنها خاطئة، لكن هذا لم يستمر طويلا لأن هناك العقل الذي استولى على هذه الفكرة "كأن شخصا قد أمسكه من يده وأخذ يجره معصوب العينين بقوة خارقة جرا لا فكاك له ولا سبيل له إلى الاعتراض عليه، أو كأن آلة قد التقطت طرف ثوبه فدارت به عجلاؤها وأخذت تجذبه إليها جذبا لا حيلة له في دفعه"<sup>١٢</sup> هنا فشلت مهمة الأنا وحقق راسكولنيكوف فكرته راكضا وراء رغباته، محاولا إفتاع نفسه بعدم الخوف، فهو السيد وهو صاحب العقل المنير الذي يمتلك الإرادة القوية والحرية التامة "كفى تراجعيا بأنواع السراب إلى الوراء، بأيتها المخاوف الوهمية تتهقري أيتها الأبطال الحياة موجودة أنت حيا في الساعة التي أنا فيها؟ إن حياتي لم تمت بموت المرأة العجوز أن لك أن تدعي العالم هادئا أما ملكوتي أنا فهو ملكوت العقل والضيء والقوة والإرادة"<sup>١٣</sup>

وبعد ارتكابه للجريمة يكتشف بأنه بشر عادي ينتابه الخوف ويكتشف أيضا أن العقل هو الذي ضيعه "إن العقل هو الذي كان يقودني وذلك بعينه هوما ضيعني"<sup>١٤</sup> فهذا الصراع النفسي الذي مزق البطل قبل وبعد ارتكابه للجريمة، نعيش معه من خلال مونولوجاته الداخلية، فننتعرف على دوافعه ومشاعره وأفكاره المضطربة، يعتبر من أقوى الصراعات التي يتعرض لها الإنسان، فقد يصادف وهو في سبيله إلى تحقيق أهدافه أمام أمرين متناقضين يجد نفسه في موقف صعب يدعوا إلى الحيرة "حين تتجابه عند

وسعيه إلى تحقيق مطالبه النفسية دليل على أن السعادة هي هدفه الأساسي، وضعف النفس أمام مطالبها ولذاتها وشعورها بالعجز يعد فرصة من فرص الوقوع في الخطأ "فالإنسان ذلك المجهول تكمن بين أضلعه مكبوتات خفية تتصارع معه"<sup>٨</sup> فالجهاز النفسي عند الإنسان في صراع بين الهو والأنا والأنا الأعلى، وعندما يقش على مقاومة الهو التي هي مجموعة من الفرائز المكبوتة وينجر إلى تحقيقها هنا تتشكل شخصية الإنسان المجرم، والحديث عن الصراع النفسي الذي يسيطر على بطل الرواية، وهي أكثر الشخصيات التي تحمل صراعا نفسيا.

أراد راسكولنيكوف الشاب المطرود من الجامعة أن يثبت للناس ولنفسه بأنه رجل خارق أعلى مكانة من سواه ومن حقه ارتكاب جريمة قتل في حق عجوز، فاخترت هذه الفكرة في ذهنه وبررها بعقله، بعد سماعه حديث شاب وضابط عنها "عجوز في أواخر أيامها، وستموت في القريب ميتهتها الطبيعية حياتها خطر على الفقراء الذين يرهنون عندها حاجياتهم فتعطيهم ربع ما يقابلها"<sup>٩</sup> فعلى الرغم من أنه خطط لجريمته بعقله واقتنع بها، إلا أنه كان مترددا، لم يكن على قناعة أنه قادر على هذا الفعل "لا هذه حماقة هذه سخافة، هل يمكن حقا أن تكون فكرة شيطانية كهذه الفكرة قد ساورت ذهني، إن هذا كله وسخ جدا، قدر جدا"<sup>١٠</sup>. ولم يكن مقتنعا البتة بأنه قادر على هذا الفعل فيخاطب نفسه "فيم أذهب الآن إلى هناك؟ أنا قادر على أن أفعل ذلك الأمر، هل ذلك الأمر جد

قادر على استخلاص المثل الأخلاقية واتباعها بعيدا عن الانحراف الذي تلميه علينا رغباتنا ونزواتنا الشخصية.

فإسعاد النَّاس يكون بالحفاظ على إنسانيَّة الإنسان، والحفاظ على القوانين التي تنظم الحياة البشريَّة وتحميها.

راسكولنيكوف الشاب النبيل الذي ينفق كل ما يملك من أجل سعادة الآخرين، يفضل راحة ورفاهية الآخرين عن ذاته، يقدم للناس دون مقابل وهذا هو الإيتار، حيث قدم كل ما يملك لزوجة صديقه مارميلادوف الذي توفي إثر حادث مروِّع، "خذي هذا المبلغ، أظن أنه عشرون روبلا، فإذا كان هذا يساعدكم ولوقليلا، لكني سأعود إليكم..." ١٧.

طالب بائس فقير يقدم لهذه المرأة الشقية الفقيرة كل ما يملك بدافع الشفقة، فعالتها الرثة قد أثرت فيه كثيرا، هذا الموقف أثر في بورفيري رئيس الشرطة حتى لقد اتهمه بالجنون: "ألم تتصرف تصرف مجنون هناك؟ لقد أعطيت أرملة كل ما كان معك من مال لدفع نفقات الجنازة، أفما كان في وسعك إذا أنت حرصت حرصا مطلقا على مساعدتها أن تعطيتها خمسة عشر روبلات في أقل تقدير ولكنك جدت عليها بكل ما تملك" ١٨.

دليل على حب الغير وتفضيله على نفسه كما يقول تعالى في كتابه العزيز، ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) ، كان راسكولنيكوف يقدم الكثير من المساعدات، يقدم مصلحة الآخرين حتى وإن كان هوبحاجة إلى هذا الشيء، ونفس الشيء حدث له عندما كان في الشارع حيث رأى عجوزا تجر طفلا وتستجد بصدقة " من المضحك أنها

تضنني أسعد منها...بقي في جيبي خمسة كوبيكات، خذي، خذي أيتها الأم الطيبة، فقاتلت المتسولة بصوت فيه بكاء: حماك الله... ٢٠.

على الرغم من أنه بحاجة ماسة إلى المال، إلا أنه لم يكلف نفسه عناء التفكير في مد يد المساعدة إلى أي كان، إنه حقا لخلق نبيل صادر من شاب فقير هوننسه يحتاج إلى من يساعده، "يهب المرء نفوذًا وهويرتدي مثل هذه الأسمال الرثة" ٢١.

وهذا الخلق الكريم والمساعدة التي كان يقوم بها راسكولنيكوف اعترف بها صديقه رازوميخين أثناء محاكمته في قضية قتل العجوز وأختها حيث: "قد أنفق آخر ما كان يملك من موارده أثناء دراسته بالجامعة على رفيق فقير مصاب بداء السل، فقام بأوده وسد حاجاته وخفف عنه خلال ستة أشهر كاملة، حتى إذا مات رفيقه ذاك، اهتم راسكولنيكوف بأبيه، وهوشاخ عاجز بقي وحيدا في هذه الحياة، ثم أدخله مأوى للشيوخ، حتى إذا مات الشيخ هوأيضا بعد مدة، تكفل راسكولنيكوف بنفقات دفنه" ٢٢.

وفي موقف آخر كاد يضحى بحياته من أجل إنقاذ طفلتين وهذا ما شهدت به صاحبة البيت الذي كان يقطنه راسكولنيكوف: "قد أنقذ أثناء حريق، في ذات ليلة طفلين صغيرين في مسكن شبت فيه أسنة النيران واشتعل، حتى أن راسكولنيكوف قد أصيب أثناء ذلك بعدة حروق" ٢٣.

ونجده مرّة أخرى يقوم بمساعدة فتاة وجدها في الشارع في حالة يرثى لها غائبة عن الوعي، يريد رجلا أن يقترب منها مستغلا حالتها السيئة فقام راسكولنيكوف

باستدعاء أحد رجال الشرطة طالبا منه أن يحميها من ذلك الوغد الحقير الذي يريد أن يعبت بها وهي في هذه الحالة، "قال ذلك وهوينبش جيبه فيخرج منه عشرين كوبيكا كانت ما تزال فيه... اسمع! خذ هذه التّقود وناد حوذيا، وأمره أن يقودها إلى بيتها، ولا تتركها لهذا الوغد الدّنيء! إن من الممكن أن يلحق بها إيذاءات جديدة" ٢٤.

وبعد ذلك يقوم بتصوّر ما قد يلحق بتلك الفتاة، وكيف أقحم نفسه في مثل هذه الأشياء، فالأمر لا يعنيه، لأنّه يعلم ما قد يحدث فيها بعد فدمدم قائلا: "أخذ مني أنا عشرين كوبيكا، وسوف يأخذ من السيد الأنيق مبلغا آخر فيترك له البنية، هكذا ستنتهي الأمور - لماذا أقحمت نفسي فيما لا يعنيني لماذا تدخلت في سبيل أن أحميها؟ هل علي أن أفرض نفسي حاميا، هل من حقي أن أحمي أحدا أيا كان؟ إلا قليلتهم بعضهم بعضا- ما شأنني أنا وهذا؟" ٢٥

هذه النتيجة التي توصل إليها راسكولنيكوف، متصورا النية الخبيثة التي قد تتجم من أولئك الرجلين، ولكن هذا تصويره وقد يكون العكس. ففي مقابل ذلك نية حسنة، فلا أحد يعلم ما يجري في نفس أحد. "يزعم بعضهم أن الوجود على هذه الأرض لا يمكن تصوره خاليا من الألم ومن الظلم اللذين يستطيعان وحدهما أن يهبيا للإنسان معرفة الخير والشر" ٢٦.

كل هذا يدل على الحس الأخلاقي وتحقيق المصلحة العامة والسعادة للآخرين، وتقديم الخير لهم ويمكن هذا في الضمير الحي الموجود في كل إنسان الذي يسعى إلى تحقيق الخير من أجل

أفضع الجرائم وأشدها إنما لفتاة عفيفة  
"أما إنك خاطئة فهذا صحيح، وخطيئتك  
الكبرى هي أنك ضحيت بنفسك وأهلك  
نفسك، وختت نفسك سدى" ٣٢.

تخلت عن نفسها، دمّرتها بفعلتها، لم  
تحافظ عليها، فينظر راسكولنيكوف إلى  
عمل صونيا بأنه لا يختلف عن الجريمة  
التي ارتكبتها: "ألم تعلمي مثل الذي فعلت  
أنأ؟ أنت أيضا خرقت القانون، أنت أيضا  
دمّرت حياة، هي حياتك أنت... ولكن ما  
الفرق؟" ٣٤.

فكلاهما ارتكبا إثما في حق حياتهما،  
وفي حق الإنسانية جمعاء بتمزيقهما  
لشاعرهما وخرقهما للقانون، سارا  
نحوالشر في اعتقادهما قد قدما الخير  
واسعدا من حوليتهما، لكن كيف حصل على  
ذلك؟ بأفعال خسية دنيئة جرياً وراء مبدأ  
اللذة وهذا ما اعترف به راسكولنيكوف:  
انتقادات ببساطة وسذاجة دون أن ترتاب  
أقول بأنها كانت تتشد اللذة كما كنت  
أنشدها أنا" ٣٥ تلك اللذة المصحوبة  
بالأنانية وحب الذات.

نجد شخصية "صونيا" في بعض  
صفاتنا أقرب إلى "مارتا البانية" من  
كتاب "عرائس المروج لجبران خليل  
جبران"، تلك الفتاة المسكينة التي أجبرت  
على احترام البغاء .

وبالأفكار النظيفة نفسها نجد "دونيا  
"أخت" راسكولنيكوف" تقوم بالتضحية  
من أجل أخيها التي تحبه حبا لا يوصف،  
معطية موافقتها على الزواج من لوجين  
اللثيم، فتخلت عن مصلحتها "لوكانت  
تتشدد مصلحتها في ورعها هي لرفضت  
أن تتبع نفسها ولولتجنب الموت، أما في  
سبيل شخص آخر فإنها مستعدة أن تتبع

يقول تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرم  
الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم  
تعقلون)، فالله هو الذي يأخذ روحه، وليس  
لأحد الحق في تجاوز هذا القانون.

نجد شخصيات دوستويفسكي  
متعطشين كثيرا للتضحية بالنفس، فنجد  
صونيا مارميلا دوف تقدم خيرا لعائلتها  
من أجل إعالتهم، فتضطر لبيع جسدها  
من أجل إطعام زوجة أبيها المريضة  
وأولادها الصغار "الفتاة المسكينة ضحت  
بنفسها في سبيل امرأة أبيها الشريرة  
المصدورة، في سبيل صغار امرأة أخرى،  
تلك الفتاة المسكينة التي أشفتت على  
أبيها" ٢٩.

تضحى بنفسها من أجل سعادة  
عائلتها، فكرة التضحية الذاتية وإبعاد  
الأنا وتقديم الآخر مجسدة بكل أبعادها  
فيها، هذه الفتاة الذليلة على الرغم  
من ممارستها البغاء إلا ولها إيمان  
قوي، متشددة في دينها ومعترزة به، كيف  
استطاعت أن تسلك مسلك العار! "كيف  
يمكن أن يجتمع في نفسك مثل هذا العار  
ومثل هذه الحطة مع أنبل العواطف  
وأقدس المشاعر" ٢٠ هذا ما صرح به  
راسكولنيكوف أمامها، لكنها هي من دفعت  
به إلى الاعتراف، فتجدها تخرج عن  
طورها وتصرخ في وجهه "اسكت، اسكت،  
لقد ابتعدت عن الله، فضربك الله وأسلمك  
لإبليس" ٢١، ولم تتوقف عند هذا الحد بل  
تمطره بالمواعظ والإرشادات والملازمات إلى  
درجة أنها تنفجر بالبكاء "تضرع إلي، أن  
أغير حياتي، باكية، نعم باكية... تصورا!  
هل تصدق هذا؟" ٢٢.

دلالة على النفس الطيبة الطاهرة،  
المتحفظه، تحته على الخير إلا أنها اقتربت

ذاته بعيدا عن أي مقابل.

شاب يقوم بمثل هذه الأعمال النبيلة  
الكريمة، كيف استطاعت يده أن تقترب  
فعلا يناهض تلك الأفعال النبيلة؟ فلا  
أحد يفكر أن يخطر بباله أن القتل  
وسفك الدماء هو عمل خير، كيف وصلت  
به الجرأة في اتخاذ قرار مصيري كحق  
الحياة والموت! وكيف يستطيع أن يقارن  
الدم بالشمبانيا! ذلك الدم الذي تجري به  
روح إنسانية عظيمة نفخها الله في عباده،  
"دم يسفحه جميع الناس كالشمبانيا،  
ومن أجل ذلك يتوج بعضهم في الكابيتول  
ويسمى بطلا من الأبطال الذين أحسنوا  
إلى الإنسانية" ٢٧. فيعتقد بأنه حر وله  
الحرية المطلقة كذلك في ارتكاب جريمة  
وسفك دم من أجل أن يبرهن لنفسه بأنه  
متفوق، وأنه قدم شيئا عظيما للإنسانية.  
"لقد قتل، ولكنه يعتقد أنه إنسان شريف،  
وهو يحترق الناس ويصطنع دور ملاك من  
الملائكة" ٢٨.

فيرى بأنه لم يسفك دما وإنما أراح  
حشرة ضارة تفتك بالمجتمع، لقد أخطأ  
راسكولنيكوف في اختيار الوسائل التي  
تساعده على شرح فكرته للأخرين، فكانت  
دوافعه الاجتماعية مجرد إطار فقط، أما  
الدافع الأقوى تكمن في ذاته، في تحقيق  
مصلحته، في أنانيته.

ارتكب جريمة قتل رأى فيها خيرا،  
كان يظن بأنه سيقتل الشر بقتله للعجوز  
ولكنه ارتكب جريمتين في الوقت نفسه،  
قتل نفس إنسانية، خرق قانون الطبيعة،  
فجريمته وإن كانت لها دوافع خير فهي  
تساوي الشر، فهو لا يختلف عن أي قاتل  
آخر الذي يتجرأ على الله بانتزاع الروح  
من ضحيته خلافا لإرادة الله وتشريعاته

نفسها" ٣٦، لم تفكر في نفسها بل خططت كيف تبني مستقبل أخيها، "لقد بنت لمستقبل في خيالها مشروعا ضخما، إنها تقدر أنك تستطيع في المستقبل أن تصبح مساعدا بل وشريكا لبيوتر بتروفش في أعمال المرافعات التي يقوم بها" ٢٧.

الحب الشديد، حب الأخت لأخيها، التضحية والتفكير في مصلحته وإنهاء لمشاعرها وحياتها ككل، ولكن "راسكولنيكوف" ينظر إليها من وجهة أخرى، "أنت تبعين نفسك بالمال، إذن أنت تتصرفين تصرفا سيئا على كل حال" ٢٨، لأنها نظرت إلى هذا الزواج على أساس مصلحة لا أكثر، لم تفكر فيه بمشاعرها وأحاسيسها، خططت له بعقلها رتبته أفكارها للخروج من الفقر، وبناء مستقبل لأخيها. "إنها تدنس روحها وتفسد حسنها الأخلاقي بالإرتباط إلى الأبد ومن أجل مصلحتها الشخصية فحسب" ٢٩.

ومن هو "لوجين" الذي كانت ستزوجه، إنه نموذج منحط للشخصية البرجوازية المنحطة، متعجرف، لثيم، يجسد الشر بأكمله، "إنسان جبان وسافل أيضا ذلك الذي يصفه بالجن" ٤٠.

أراد أن يتزوج من دونيا لأنها فقيرة وبالتالي تكون مناسبة له جدا لأنه يبحث عن العبودية والسيطرة "إنك قلت لخطيبتك، ساعة وافقت على زواجها منك، أن ما يسعدك مزيدا من السعادة، أنها فقيرة معدومة، لأن من المفيد جدا أن ينشل الرجل امرأة من وهدة الشقاء، ليسيطر عليها بعد ذلك عن طريق الخيرات التي يمن بها عليها" ٤١ أراد أن يستغل فقرها، فنظر إليها نظرة دونية، ولم يتوقف عند هذا الحد بل ذكرها بأنه قرر أن يتزوجها

رغم الشائعات التي كانت تلوكها الألسن وأنه أحسن إليها فقط، "أنني قررت أن اتخذك زوجة لي حيث كانت سمعتك مضغة في جميع الأفواه، وأحسب أنني إذ خالفت رأي الناس ورددت إليك حسن السمعة، كان في وسعي أن أنتظر تعويضا في أقل تقدير، بل وأن أطالب بمكافأة" ٤٢، يرى نفسه أنه بهذا الزواج يكون قد قدم معروفا لهذه الفتاة وعائلتها، تفكير ناجم عن نية خبيثة، ودنيئة، له وجهان، وجه يظهره للناس وهو وجه الطيب وآخر خبيث وهذا ما اكتشفه راسكولنيكوف، "إنني أراهن على أنه يملك وسام القديسة حنة وأنه يزين به سرته حين يذهب إلى حفلة عشاء يقيمها أحد الماويلين أوالتجار" ٤٣ المظاهر الخداعة حتى يوهم الناس بأنه رجل طيب ولكن نفسه شريرة.

كما افترى على صونيا الضعيفة بعد أن اتهمها بالسرقة وأهانها أمام الملائك: "يا صونيا ايفانوفنا بعد زيارتك فورا افتقدت ورقة نقدية قيمتها مائة روبل كانت موجودة على المائدة" ٤٤، لم تجد صونيا ما تقوله فقد أدهشها كلامه لأنها كانت حقا بريئة، أراد فقط أن يشوه سمعتها أكثر لأنه هومن وضعها في جيبها وهذا ما اعترف به صديقه، "أنت نذل... هل تتصورون أنه هونفسه، هو الذي أعطى صونيا... رأيتك تدس لها هذه الورقة خلسة، ولكنني لغبائي، اعتقدت أنك تفعل ذلك من باب البر والإحسان" ٤٥. تصرف حقير من نفس شريرة تحاول تشويه سمعة الناس بالاتهام زورا وابتزازهم.

وفي المقابل نجد "سفيدر يجاييلوف" الذي حمل الكثير من الغموض، "تارة يمثل الفساد الخلقي وتارة أخرى يظهر

معبا وحنونا، حيث تكفل بأبناء "كاترينا ايفانوفنا" بعد وفاتها "استطاع سفيدر يجاييلوف أن يدخل الأيتام الثلاثة في مؤسسات مناسبة، وكان للمال الذي أودعه لهم فضل كبير في ذلك" ٤٦. عنصر الشفقة ظاهر جلي في العمل الذي قام به، ولكن في الوقت نفسه نجده يتصرف تصرفات خسيصة، حيث أنه قام بخطفة فتاة تبلغ من العمر ست عشرة سنة، ولكن الأهم طريقة تقديمه لنفسه: "ملاك، أرمل، أسرة نبيلة، علاقات عالية، ثروة طائلة" ٤٧، اتبع عنصر الإغراء والتصنع، أخفى نيته السيئة وأظهر كلمات مزخرفة حتى يظهر في أحسن صورة أمامهم، وهذا يشعره بلذة لا توصف "كيف لا تشعر بلذة، كيف لا تكون لذة لرجل فاسق داعر من وطنتك أن يقص مغامرات كهذه المغامرات وهو يحلم بمشاريع شيطانية أخرى" استغلال براءة طفلة لأغراض أخرى.

الحياة لا تطلق في مجتمع يسوده الظلم والفساد، ويتحكم به أمثال "لوجين" و"سفيدر يجاييلوف" ذوي النفوس الشريرة السيئة التي تسعى إلى نشر الفساد والانحطاط الخلقي.

خلاصة القول: الصراع بين الخير والشر ظهر جليا في شخصيات دوستوفسكي، طالب مجرم يعتقد أنه قدم خيرا للمجتمع بقتله للمجور، التي كانت تمص دماء الفقراء وتسلب حقوقهم، فتاة تمارس البغاء لتقدم الخير والسعادة لعائلتها، أخت تضحي بنفسها فتقبل الزواج من رجل تنظر إليه كمصلحة فقط، ورجلان امتلأت نفسيتهما بالأعمال الشريرة والدنيئة صراع بين الخير والشر داخل نفوس مريضة استطاعت أن تعبر

بالهوية. الإنسان ليس عقل فقط بل هومزيج بين العقل والعاطفة، فعند اتباع العقل يمكن ارتكاب أشنع الجرائم، لكن بعد صحوة الضمير واستيقاظه ( وهذا دليل على الندم ) هنا تبرز العاطفة ويمكن أن يؤدي ذلك إلى تعذيب النفس وعقابها. التفسير الخاطئ للحرية على أساس أن الإنسان حر في تصرفاته تجعله يتعدى على حقوق الآخرين وينتهك حرمتهم تحت شعار الحرية الفردية والأناية المطلقة، وتختفي حرية العاطفة في زخم البحث عن المصلحة المادية. بما أن الحرية فردية، فالفرد هو الذي يحترم خصوصياتها ولا يتجاوز حدودها. حرية الاختيار بين الخير والشر هي جوهر الوجود. على الإنسان أن يميز الخير والشر بنفسه.

بالنفس البشرية ودرسوا خباياها وما يعترها من تناقضات. الخير والشر من الثنائيات الضدية التي اهتمت بها جميع العلوم: الفلسفية، النفسية، الاجتماعية والدينية والصراع بينهما منذ الأزل، ولا يزال مستمرا حتى يرث الله الأرض ومن عليها. لاتبث النفس الإنسانية على حال واحدة فهي في تغير مستمر نتيجة الظروف المحيطة بها، إذ الجهاز النفسي عند الإنسان معقد في صراع بين الهوا والأنا والأنا الأعلى، وكل يريد أن يبرز على السطح ليؤدي مهمته على أحسن وجه. الإنسان ككائن عاقل، إذن هو مسؤول عن اختيار قيمه التي تحدد علاقته بالوجود والحياة. العقل الذي هو السراج المنير للإنسان، والذي به ميزه الله سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات قد يؤدي بصاحبه إلى

عما يختلج في صدورهما. نستنتج مما سبق أن دوستوفسكي في روايته الجريمة والعقاب، استطاع ببراعة أن يجسد الألم والمعاناة للمجتمع الروسي في لوحة فلسفية ونفسية ساد فيه الفقر واليأس والأحياء الفقيرة القدرة، ناهيك عن محاكاة النفس البشرية والعالم النفسي للبشر، وما يعتمل بداخلها من عواطف ومشاعر.

### النتائج:

عرضت رواية الجريمة والعقاب الصراع بين الخير والشر شخصيات حملت لواء الخير وأخرى جبلت على الشر فعندما نقول الخير والشر يعني نفس إنسانية الركض وراء اللذات والمنافع، المصالح الأناية هذا ما استطاع دوستوفسكي تصويره. فهومن الروائيين الذين اهتموا

## المراجع:

- ١- أبو النصر عمر: الروح السوفياتية في الأدب الروسي الحديث- دار النشر العربية- بيروت- لبنان- ط١- ١٩٥٤- ص١٨
- ٢- ميخائيل باختين- جميل ناصيف التركيبي: شعرية دوستوفسكي- دار توبقال- الدار البيضاء- ط١- ١٩٨٦- ص٢٢.
- ٣- نيقولا برديانف: رؤية دوستوفسكي للعالم- ت: فؤاد كامل- دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- ط١- ١٩٨٢- ص٨١
- ٤- ينظر مكارم الغمري: الرواية الروسية في القرن التاسع عشر- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- ١٩٨١- ص١٦٩- ١٧٠
- ٥- أندريه جيد: دوستوفسكي مقالات ومحاضرات- ترجمة: إلياس حنا إلياس- منشورات عويدات- بيروت- ط١- ١٩٨٨- ص٢٥
- ٦- المرجع نفسه: ص٧٠
- ٧- أبو الفدا محمد عزت، محمد عارف: عدو الإنسان الأول القلق والتوتر- دار الاعتصام- القاهرة- ط١- ١٩٩٨- ص٢٥
- ٨- المرجع نفسه: ص٢٦
- ٩- دوستوفسكي: الجريمة والعقاب- ترجمة: سامي الدروبي - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء- المغرب - ط١- ٢٠١٠- ج١- ص١١٢
- ١٠- المصدر نفسه: ص٢٥
- ١١- المصدر نفسه: ص١٦
- ١٢- المصدر نفسه: ص١٢٠
- ١٣- المصدر نفسه: ج٢- ص٢١٠
- ١٤- المصدر نفسه: ص٢٢٢

- ١٥- جون لا بلاش، ج ب بونتايس: معجم مصطلحات التحليل النفسي- ترجمة: مصطفى حجازي- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت- ط٢- ١٩٩٧- ص٣٠٠
- ١٦- دوستوفسكي: الجريمة والعقاب- ج٢- ص٢٢٥
- ١٧- المصدر نفسه: ج١- ص٣٠٦
- ١٨- المصدر نفسه: ص٤١٢
- ١٩- سورة الحشر آية٩
- ٢٠- دوستوفسكي: الجريمة والعقاب- ج٢- ص٢٨٨
- ٢١- المصدر نفسه: ص٨٥
- ٢٢- المصدر نفسه: ص٤٠٢
- ٢٣- المصدر نفسه والصفحة نفسها
- ٢٤- المصدر نفسه: ج١- ص٨٥
- ٢٥- المصدر نفسه: ص٨٧
- ٢٦- أبو الفدا عزت، محمد عارف: عدو الإنسان الأول القلق والتوتر- ص٢٢
- ٢٧- دوستوفسكي: الجريمة والعقاب- ج٢- ص٣٧٧
- ٢٨- المصدر نفسه: ص٢٨٢
- ٢٩- المصدر نفسه: ج١ ص٤٦
- ٣٠- المصدر نفسه: ج٢- ص٧٤
- ٣١- المصدر نفسه: ص٢٢٢
- ٣٢- المصدر نفسه: ص٢١٢
- ٣٣- المصدر نفسه: ص٧٤
- ٣٤- المصدر نفسه: ص٨٥
- ٣٥- المصدر نفسه: ص٢٢٢
- ٣٦- المصدر نفسه: ص٧٧
- ٣٧- المصدر نفسه: ص٦٨
- ٣٨- المصدر نفسه: ص٣٧٧
- ٣٩- المصدر نفسه: ص٧٧
- ٤٠- المصدر نفسه: ص٢٦٢
- ٤١- المصدر نفسه: ص٢٥٠
- ٤٢- المصدر نفسه: ص٤٦
- ٤٣- المصدر نفسه: ص٧٥
- ٤٤- المصدر نفسه: ص١٨٢
- ٤٥- المصدر نفسه: ص١٩٢
- ٤٦- المصدر نفسه: ص٢٥٧
- ٤٧- المصدر نفسه: ص٣١٨